الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عهد الله

الحلقة الثانية

مقدمة البرنامج.....

مساعد: السلام عليكم ورحمة الله.

أصوات: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.."ترتفع ضجة خفيفة ثم تزول مع الحوار"..

مساعد: أيها الأبناء يسرني أن فرصة جديدة قد أتيحت لي في هذا اليوم لتقديم نموذج آخر من النماذج التي يجتمع فيها العلم والعمل. والإيمان والسلوك. والواقع أن تاريخنا الإسلامي حافل بأخبار هذه النماذج الكريمة..

خالد: إننا إذ نعرب لك عن شكرنا على محاولتك المخلصة في طرح هذه النماذج نتمنى عليك أن يكون اختيارك لها متوافقاً مع مطالب حياتنا العصرية الراهنة.

مساعد: حسن يا خالد.. وأنا إذ يسرني مثل هذا المطلب أتمنى عليك أو على أي واحد من أخوانك الطلاب في أن تعيننا المطلب الحياتي الذي تريد أن يقدم النموذج على صورته.

خالد: ولماذا تترك لنا مهمة الاختيار فأنت أدرى بما يجب أن يقدم من النماذج الصالحة لعصرنا اليوم؟

مساعد: السبب يا خالد أنني أرغب في طرح المقولة التي تقرر بأن مادة التاريخ هي من الغنى والثراء بحيث تقدم لنا المادة الفكرية أو المواقف الخلقية التي يمكن أن تستجيب لكل حاجة من حاجات العصر وإن اختلفت المظاهر والأشكال الخارجية.

خالد: هل تقصد من هذا يا أستاذ إلى القول بأنه لا جديد تحت الشمس؟

مساعد: نعم ولا في الوقت نفسه.

خالد: وكيف ذلك؟

مساعد: نعم يا خالد لأن الإنسان هو الإنسان منذ أبينا آدم حتى اليوم. لقد كانت مشكلته الكبرى وما تزال هي مشكلة الحفاظ على سلامة الفطرة عنده. فإذا فسدت فطرته في ظل أي وضع من الأوضاع فقد ضل وخسر نفسه وإذا صان هذه الفطرة وحافظ على توازنها فقد فاز فوزاً عظيماً ..

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

خالد: لكن الناس كلهم مقتنعون بأن دنيا اليوم مختلفة كل الاختلاف عن دنيا الماضي.. إن طراز العيش في القرون الماضية بل في العقود القليلة من السنين الماضية متباين تبايناً تاماً مع طراز العيش اليوم. ومن المنتظر أن يكون أكثر تبايناً في المستقبل.

مساعد: وهذا أيضا صحيح على شرط أن نفهم أبعاد هذا الاختلاف. الواقع أيها الأبناء أنه اختلاف في الشكل والمظهر وفي سرعة الأحداث وعنف حركة الحيالة لكن هذا كله لا يغير من فطرة الإنسان شيئاً لقد كان صلاحها بالأمس مشروطاً بشروط هي نفسها شروط صلاحها اليوم وفي الغد وبعد الغد أيضا..

خالد: إذاً فأنت تقول بالتغير والتطور في الأشكال والسرعات والأوضاع الخارجية وترفض القول بهما فيما يتعلق بالبناء العقلي والخلقي والنفسي عند الإنسان.

مساعد: أحسنت يا خالد.. وأضيف إلى ما ذكرت أن ما صلح به الإنسان في الماضي هو ما يصلح به في الحاضر.. فالتجارب الإنسانية في الفكر والعقيدة والروح والأخلاق لم تأت بجديد أبدًا. إن كل الأفكار التي تنادي بها البشرية اليوم قد كانت لها سابقتها في القرون الماضية. أما التباين فهو في طريقة العرض والمقومات الشكلية التنظيمية التي يفرضها التطور المادي.

خالد: الآن أدركنا يا أستاذ مساعد سبب عودتك بنا إلى النماذج الفكرية والخلقية والدينية الماضية.

مساعد: ومن أجل ذلك أقول لكم أيها الأبناء أن الشمول في الإسلام والرؤية المحيطة بأبعاد النفس الى جانب البشرية التي تطالعنا في كتاب الله هما سر عظمة هذا الدين وقدرته على مواجهة كل التحديات الخارجية والاستجابة لها..

سعيد: هل تسمح لي بالكلام يا أستاذ مساعد؟

مساعد: تفضل يا سعيد.

سعيد: أما وقد تناولت هذا الموضوع الهام فهل لك أن تقول لنا بعض القضايا التي يتمثل فيها استمرار الوجود الإنساني واستعصاؤه على التغيّر؟

مساعد: طبعاً يا بني.. لكنني أفضل أن تكون المبادرة من قبلكم أنتم.

جاسم: هل تحب أن أشارك في الحوار؟

مساعد: بكل سرور يا جاسم.

جاسم:"بعد تفكير"أعتقد أن الحقيقة الإنسانية الخالدة التي لم تتغير أبد الدهر ولن تتغير في تقديري هي تلك التي تتمثل في حاجة الإنسان إلى الإيمان. لقد لاحظت أن البشرية منذ بدأت مسيرتها القديمة لا تتحرك ولا تتخذ موقفاً إلا في ضوء قيمة تكون منها بمثابة المثل الأعلى.

مساعد: فماذا تقول يا سعيد؟

سعيد: أعتقد أن جاسماً على حق في هذا الرأي. بل يبدو لي وكأن الله سبحانه وتعالى قد وضع في الإنسان غريزة الإيمان. إنه كائن مؤمن فإذا انحرف عن الوحدانية فهو حريص بعد انحرافه على الإيمان بمثال يظن أنه الحق.

مساعد: أحسنت وأجدت يا سعيد. أما قولك أن الإيمان غريزة فهو غير بعيد عن الحقيقة من حيث المبدأ. فالإيمان أيها الأبناء هو عهد عهد الله به إلى عباده وقد كانوا ما يزالون في أصلاب آبائهم. وقد جاء التعبير عن هذه الحقيقة في كتاب الله. فهل تستطيع أن تجدها يا جاسم.

جاسم: طبعاً يا أستاذ مساعد.. لقد قلت ما قلت وفي ذهني آية معينة من كتاب الله.

مساعد: فهل تتلوها علينا؟

جاسم: نعم. إنها في قول الله عز وجل من الآية 13 من سورة الحجرات: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.

مساعد: صدقت يا جاسم "يلتفت إلى خالد" هل عندك شيء تقوله يا خالد؟

خالد: نعم يا أستاذي الكريم. لقد لاحظت أن الآية التالية بعد التي ذكرها أخي جاسم تشير إلى ظاهرة الانحراف في الإيمان. فالله عز وجل بعد أن أشهد ذرية بني آدم على وحدانيته وقال لهم: إن هذا الإشهاد هو تدارك لزعم محتمل قد يدعون فيه يوم القيامة غفلتهم عن الإيمان بالوحدانية، أورد في الآية الثانية احتمالاً آخر يحدث به الانحراف فيقول عز وجل"أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (الأعراف:173)"..

مساعد: فما رأيك يا سعيد فيما ذكره خالد؟

سعيد: الاستدراك في الآية واضح يا أستاذ مساعد. لقد أشهد الله عباده على وحدانيته فشهدوا بها وقد فعل هذا استدراكاً لزعم الغفلة أو للزعم الذي يردده بعض المنحرفين حين يدافعون عن أنفسهم بالقول بأن شركهم هو بسبب شرك الآباء من قبلهم والادعاء بأنهم ضحايا هؤلاء الآباء.

جاسم: هكذا يكون الله عز وجل قد سد كل باب للإعتذار عن الضلال والانحراف حين جعل الإيمان حقيقة فطرية مشهوداً بها من قبل الإنسان في طبيعته العميقة.

مساعد: إنني أيها الأبناء إذ أشكركم على تنبهكم لهذه الحقيقة الموصولة بالإنسان في فطرته ألفت نظركم إلى جانب آخر من الموضوع.

خالد: فما هو هذا الجانب يا أستاذ مساعد؟

مساعد: إن الملاحظ أن كتاب الله تعالى رغم تقريره لحقيقة أن الشهادة بالوحدانية أمر مغروس في النفس البشرية قد حفل بعشرات الأدلة التي تساعد العقل الإنسان على اكتشاف هذه الحقيقة والعودة إليها حين يجد نفسه في ضلالة أو متاهة.

سعيد: هل تقصد بذلك الأدلة القرآنية على ظهور وحدانية وربوبيته في خلقه؟

مساعد: بلى يا سعيد.. ولما كنتم تحفظون كتاب الله عن ظهر قلب فإنّي أنتظر من جاسم أن يقدم إلينا واحداً من هذه الأدلة.

جاسم:"بعد تفكير"وجدته يا أستاذ مساعد. إنه في قول الله تعالى من سورة البقرة الآية 164 التي جاء فيها:"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ..

مساعد: أحسنت يا جاسم. هذا وحي من السماء يقول للإنسان السادر في غيه:"كيف لا تؤمن بالله وفي كل ما حولك من أنواع الخلق آية على وحدانية الله وربوبيته؟ السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر، والماء الذي ينزل من السماء، والحيوان المبعوث في الأرض، وتحركات الرياح، وانطلاق السحب في الفضاء هذه كلها آيات على عظمة الله لقوم يعقلون.

خالد: أعتقد يا أستاذ مساعد أننا قد تعرضنا حتى الآن لواحدة من الحقائق الخالدة التي لا تختلف ولا يجري عليها التغير والتبدل بمرور الأجيال والسنين. ولعلك قادر على أن تقدم إلينا حقائق أخرى. فهل لك أن تقدم لنا واحدة منها؟

مساعد: فما رأيك يا سعيد؟

سعيد: نعم ما طلبه الأخ خالد لولا أنك قد وعدتنا في بداية اللقاء بأن تقدم إلينا نموذجاً من النماذج الكريمة لاجتماع العلم والعمل والإيمان والسلوك في شخص واحد.

جاسم: أما أنا فأقترح صورة لنموذج كريم تجتمع فيه الجرأة والمرونة وحسن التأني والصدق في القول فقد أعجبني مساء أمس فتى التقيته في بعض النوادي فيه كل هذه الخصائص.

مساعد: لعل في وسعنا أن نوفق بين كل هذه المطالب. أما فيما يتعلق بالحقيقة الثانية التي طالب ولدنا خالد بإيرادها فأقول: أنها حرية الاعتقاد في دين الله. وهي الحقيقة التي تم في ضوئها صنع كل الحضارات البشرية.

خالد: ماذا تقصد يا أستاذ بحرية الاعتقاد؟ وأين نجدها في كتاب الله؟

مساعد: هل عندك يا سعيد ما تقوله؟

سعيد:"بعد تفكير"نعم يا أستاذ أننا نجدها في قوله تعالى:"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (البقرة:256)"..

مساعد: أحسنت يا سعيد.

جاسم: الحق يا أستاذ مساعد أن هذه الآية قد شغلني التفكير فيها زمناً طويلا.

مساعد: وهذا أمر طبيعي.. أرأيتم أيها الأبناء الى هذه الثروة الهائلة من ألوان الفكر وطرائق العمل وألوان السلوك البشري وما وراءها من جهود علمية وفنية ومحاولات للإعمار والبناء ومن تعاقب الناس دولاً وشعوباً وحضارات؟ كل هذا تفسره الحقيقة القرآنية التي تقرر حرية الإنسان المسؤولة في اختيار عقيدته.

سعيد: هذا صحيح.. لكن ماذا صار إليه ما وعدتنا به؟

مساعد: ألا ترون أنه لم يعد لدينا ما يكفي من الوقت للتحدث عن هذا كله؟ يكفي أننا في حوارنا هذا أثرنا موضوعات جليلة سنعود إليها وإلى غيرها إن شاء الله في لقاء قادم والسلام عليكم ورحمة الله.